من يطلق عليه اسم العلماء فهو من له معرفة فى العلوم العقلية . ومعرفة العلماء فى فروع الشريعة النصرانية هينة جدا . فإذا قيل فى فرنسا هذا الإنسان عالم لا يُفهم منه أنه يعرف فى دينه بل يعرف علماً من العلوم الأخر ، وسيظهر فضل هؤلاء النصارى فى العلوم عمن عداهم ، وبذلك تعرف خلو بلادنا عن كثير منها ، وأن الجامع الأزهر المعمور بمصر القاهرة وجامع بنى أمية بالشام وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس ومدارس بخارى ونحو ذلك كلها زاهرة بالعلوم النقلية وبعض العقلية كعلوم العربية والمنطق ونحوه من العلوم الآلية . والعلوم فى مدينة باريس تتقدم كل يوم فهى دائما فى الزيادة فإنها لا تمضى سنة إلا ويكشفون شيئاً جديداً فإنهم قد يكشفون فى السنة عدة فنون جديدة أو صناعات جديدة أو وسائط أو تكميلات » (٢٣) .

فالطهطاوى يطلب ما ينقصنا من علوم وهى العلوم العقلية والتجريبية المادية التى تخلو منها بلادنا . العلوم التى قرأها فى خزائن الكتب الكثيرة ، وعاين نتائجها مترجمة فى حياة الفرنسيين رفاهة عيش ونظافة ونظام . ولا يرى فى وصول مصر إلى مستوى هذه الأمة الفرنسية شيئا من الغرابة أو الصعوبة بشرط أن تتوفر لها الأسباب : « فلو تعهدت مصر وتوفرت فيها أدوات هذا العمران لكانت سلطان المدن ورئيسة بلاد الدنيا كما هو شائع على لسان العامَّة من قولهم مصر أم الدنيا » (٢٤) . وخلاصة